

المحاضرة الأولى

القسم: اللغة العربية/بغداد

اسم المادة: التعبير القرآني

المرحلة: الرابعة

مدرس المادة: أ.م.د: شاکر محمود الأعظمي

الموضوع: التشابه والاختلاف:

في القرآن الكريم آيات وتعبيرات تتشابه مع تعبيرات أخرى ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة كأن يكن الاختلاف في حرف أو كلمة. أو نحو ذلك. وإذا تأملت هذا التشابه والاختلاف وجدته أمراً مقصوداً في كل جزئية من جزئياته قائماً على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز. وكلما تأملت في ذلك أزدت عجباً، وانكشف لك سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي **بِبَكَّةَ** مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ^ط وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ^ط وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ^ط وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

في حين قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ **مَكَّةَ** مِنْ بَعْدِ أَنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ^ط وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ [الفتح: ٢٤].

موطن الشاهد في هذين النصين:

استعمل لفظ (بكة) بالباء في آية سورة آل عمران، واستعمل لفظ (مكة) بالميم وهو الاسم المشهور لأم القرى في آية سورة الفتح.

توجيه الآيتين:

سبب إيرادها بالباء في آل عمران أن الآية في سياق الحج قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: ٩٧].

جاء بالاسم (بكة) من لفظ (البكُّ) الدال على الزحام؛ لأنه في الحج بيك الناس بعضهم بعضاً، أي: يزحم بعضهم بعضاً، وسميت (بكة) لأنهم يزدحمون فيها. وليس السياق كذلك في آية الفتح، فجاء بالاسم المشهور لها أعني: (مكة) بالميم، فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه والله أعلم.

المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤].

موطن الشاهد في هذين النصين:

فقد قال في آية النساء: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وفي الأحزاب: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾ [الأحزاب: ٥٤].

توجيه الآيتين:

وذلك أنّ آية النساء وردت بعد قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨] فذكر أنّ الله لا يحب الجهر بالسوء، ولذا قال بعدها: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ [النساء: ١٤٩] أي: إن تظهروا خيراً، هو عكس الجهر بالسوء. فالله سبحانه لا يحب السوء ولا الجهر به بخلاف الجهر بالخير.

وأما في آية الأحزاب فالسياق يتعلق بعلم الله بالأشياء الخافية والظاهرة فقد قال قبلها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ...﴾ [الأحزاب: ٥١]. وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]. وختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]

ومعنى الآية إنه يستوي عنده السر والجهر، فناسب أن يقول: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [الأحزاب: ٥٤] لا أن يقول: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ [النساء: ١٤٩] هذه علاوة على مناسبة كلمة (شيء) الواقعة قبلها وبعدها، فوضع كل لفظة في مكانها المناسب لها.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى إن الجو التعبيري لكل سورة في هاتين السورتين يقتضي وضع كل لفظة من هاتين اللفظتين في موضعها. ذلك أن كلمة (خير) تردت في سورة النساء اثنتي عشرة مرة ولم ترد سورة الأحزاب إلا مرتين.

وأن كلمة (شيء) تردت في سورة النساء اثنتي عشرة مرة وترددت في سورة الأحزاب ست مرات، فإذا كان الكلام يقتضي اختيار إحدى هاتين اللفظتين لكل آية فمن الواضح أن تختار كلمة (خير) لآية النساء وكلمة (شيء) لآية الأحزاب.

فاقتضى التعبير اختيار كل لفظة من جهتين: جهة المعنى والسياق. وجهة اللفظ.

فانظر أي تعبير هذا؟

المثال الثالث:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوعِب> وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ

الْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة: ١٩١] .

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ

الْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

موطن الشاهد في هذين النصين:

فقد قال في الآية الأولى: (أشد).

وفي الآية الثانية: (أكبر)

توجيه الآيتين:

وذلك لأن الكلام في الآية الثانية على كبيرات الأمور فقد مر فيها قوله: ﴿قُلْ قِتَالٌ

فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقوله: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:

٢١٧] فناسب ذكر (أكبر) فيها.

وليس السياق كذلك في الآية الأولى، وإنما هي في سياق الشدة على الكافرين فقد

قال فيها: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوعِب> وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۗ﴾

[البقرة: ١٩١] . وهذه شدة ظاهرة فناسب ذكر (أشد) فيها بخلاف الآية الثانية.